



The question of reinstatement at the time and attitude of science

Seham ahmad aleriba

Al-Asmariya Islamic University, Zliten, Libya

s.aleriba@asmarya.edu.ly

Received |25|10|2022 - Accepted 28|12|2022 - Available online 15|01|2023

Abstract: The aim of the research is to raise the issue of the enemy among a group of Muslim philosophers and their views on the matter and their presentations on the matter, and what science thought about it, and how Islam separated it, was the most important objection that some philosophers made to the other days idea that it was impossible to restore life to bodies after they died, what was the view of science about it, and how Islamic religion separated it into saying, was the most important objection that some philosophers made to the other day,s idea that it was impossible to restore life to bodies after they died, they wondered if the body died and turned into a stained corpse and then the bones of a grunt and then a pile of ashes dispersing in the ground, would this body return as intact as it was? One of the aims of the research was to respond to the deniers of the resurrection and resurrection. The research was divided into an introduction, three investigations, a conclusion and recommendations. One of its main results is to invite atheists and other religious owners to reconsider and approach the study of the Islamic religion to a thorough scientific study, because the Islamic religion is not incompatible with science.

Keywords: repeat, resurrection, Muslim philosophers, science, the Islamic religion.

مسألة المعاد عند فلاسفة المسلمين وموقف العلم والدين الإسلامي منها

سهام أحمد الإريبي

الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن

s.aleriba@asmarya.edu.ly

المخلص: هدف البحث إلى إثارة مسألة المعاد لدى مجموعة من الفلاسفة المسلمين وآرائهم حولها وما قدموه حول هذه المسألة، وماذا كان رأي العلم حولها، وكيف فصل الدين الإسلامي القول فيها، فقد كانت أهم الاعتراضات التي وجهها بعض الفلاسفة لفكرة اليوم الآخر استحالة إعادة الحياة للأجساد بعد وفاتها، لقد تساءلوا إذا مات الجسد، وتحول إلى جثة منتنة، ثم عظام نخرة، ثم كومة رماد تتفرق في الأرض، فهل يعود هذا الجسد سليماً كما كان؟ وإن عاد سليماً فهل يعود إلى أداء وظائفه مرة أخرى؟ وكان من أهداف البحث الرد على المنكرين للمعاد والبعث، وقد فصل الدين الإسلامي الكلام في هذا الموضوع، وكان للعلم رأي مؤيد للدين الإسلامي، وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وتوصيات، ومن أهم نتائجه هو دعوة الملحدين وأصحاب الأديان الأخرى إلى إعادة النظر والتوجه إلى دراسة الدين الإسلامي دراسة علمية متفحصة، وذلك لأن الدين الإسلامي لا يتعارض مع العلم.

الكلمات المفتاحية: المعاد، البعث، الفلاسفة المسلمين، العلم، الدين الإسلامي.

المقدمة:

إن موضوع المعاد يعتبر من أهم الموضوعات في تاريخ الفكر على وجه العموم، وفي تاريخ الفكر الإسلامي على وجه الخصوص، وهو موضوع طويل ومتشعب الفروع، بسبب اختلاف وجهات النظر بين الفلاسفة وبين علماء الدين الإسلامي. فهناك منكر للمعاد أصلاً، وهناك من يقول بأن المعاد إنما هو للجسم فقط، وهناك من وقف موقفاً سلبياً، وقالوا

بالتوقف عن الحديث فيه، لذلك نحاول في هذا البحث عرض مجموعة من الآراء المهمة لبعض الفلاسفة المسلمين، الذين أثاروا الحديث حول هذه المسألة، والتي حصل فيها جدالاً ونزاعاً طويلاً، حتى وصل إلى تكفير بعضهم للبعض الآخر، ثم بيان موقف الدين الإسلامي والعلم منها، وكيف أنه لا تعارض بينهما وأن العلم دائماً مؤيد للدين الإسلامي بالأدلة والبراهين والحجج.

إشكالية البحث:

إشكالية البحث تتحدد في مجموعة من الأسئلة التي يحاول هذا البحث مناقشتها والتي تتمثل في الآتي:

- 1- ما هو المعاد؟ وما رأي الفلاسفة المسلمين حوله؟
- 2- وكيف تم تكفير بعض الفلاسفة نتيجة آرائهم حول نفي البعث الجسماني؟
- 3- وما هو رأي العلم والدين حول هذه الآراء؟ وهل كان العلم مؤيداً فعلاً للدين الإسلامي حول مسألة المعاد؟

أهمية البحث:

1. مسألة المعاد الأخروي تعتبر من المسائل المهمة والخطيرة في نفس الوقت، نتيجة كثرة الجدل والآراء حولها.
2. تكمن أهمية الموضوع في الرد على الملحدين الذين ينكرون البعث وعودة الأجساد إلى ما كانت عليه في السابق وذلك بالحجة والبرهان، وكيف بين الدين الجدال الدائر حول هذا الموضوع، ومن ثم يأتي تباعاً لذلك رأي العلم فيها والذي لا يتعارض بتاتاً مع رأي الدين الإسلامي.

أهداف البحث:

1. الرد على منكري البعث بالدرجة الأولى.
 2. بيان رأي الدين الإسلامي والعلم فيها، وأنه لا تعارض بينهما.
 3. تناول آراء الفلاسفة المسلمين حولها ومعرفة موقفهم منها.
- منهج البحث:** يسير هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، والمنهج المقارن، كونه يعرض نصوص الفلاسفة حول المعاد ويحللها، ومن ثم يقارنها برأي العلم والدين الإسلامي، ويقوم بنقد ما يلزم نقده.

هيكلية البحث:

ينتظم هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وتوصيات:

-مقدمة

-المبحث الأول: رأي ابن سينا في مسألة المعاد

-المبحث الثاني: مسألة المعاد بين الغزالي وابن رشد

-المبحث الثالث: رأي العلم والدين الإسلامي في مسألة المعاد

-خاتمة

-توصيات

المبحث الأول: رأي ابن سينا في مسألة المعاد

لقد اخترنا حديث ابن سينا حول المعاد لكونه أجزل الحديث فيه، وفصل القول، فبدأ بالحديث عن المعاد قائلاً: المعاد مشتق في لغة العرب من العود، وإنه في حقيقته اسم مكان العود، أو الحالة التي يكون عليها الشيء في هذا المكان بعد أن يكون قد باينه مدة، ثم رجع إليها بعدها، ثم استعمل فيما بعد بمعنى الموضع الذي يصير إليه الإنسان بعد الموت (Ebn sina, A, 1949, p36, 37)

والجدير بالذكر أن المعاد فرع من فروع العلم الإلهي عند ابن سينا، وهو من الموضوعات الدينية الغريبة على الفلسفة اليونانية التي أدخلها ابن سينا لهذه الفلسفة. (Kaleef, n.d, p64)

وحقيقة المعاد عنده هو عودة الأرواح إلى عالمها الأول الذي صدرت عنه وفارقت مدة مصاحبته البدن (shak alard, 1967, p296) فنقول "عودة الأرواح" وذلك هو رأي ابن سينا، لأن هناك عدة آراء تدور حول قضية المعاد، فمن هذه الآراء القائل بالمعاد الروحاني فقط (وهو قول الفلاسفة الإلهيين، فالإنسان عندهم بالحقيقة هو النفس المجردة)، ومنها القائل بالمعاد الجسماني فقط، (وهو القول الذي يقول به المتكلمون الذين ينفون النفس الناطقة)، ومنها القائل بالمعاد الروحاني والجسماني، (وهو قول سائر المسلمين، فالإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة والبدن آلتها وفي النشأة الثانية يرد الله النفس إلى بدنها بعينه)، ومنها المنكر للمعاد أصلاً، (وهو قول الفلاسفة الطبيعيين)، "وهناك رأي خامس ينسب لجاليونوس" (Al-egee, 1292, p297)، مغاير لهذه الآراء، ولكننا هنا لسنا في موضع لشرح جميع هذه الآراء، وما يهمنا منها هو رأي ابن سينا.

يرى ابن سينا أن رأي الناس في المعاد على طبقتين:

1. طبقة وهم الأقلون عدداً، والناقصون، والأضعف بصيرة منكرون له.
 2. وطبقة وهم الأكثر، والأظهرون معرفةً وبصيرةً مقرون به. (Ebn sina, 1949, p38)
- ويقول في موضع آخر: "يجب أن نعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروبه معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم، وقد بسطت الشريعة الحق التي أتانا بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرّك بالعقل والقياس البرهاني، وقد صدقته النبوة، وهو عن السعادة والشقاوة اللتان للأنفس، إلا أن الأفهام تقصر عنها

لما نوضح من العلل" (Ebn sina,1952,p125) نفهم من ذلك أن ابن سينا لا يؤمن بمعاد النفوس والأجسام على ما ذكرته الأديان، والبعث البدني لا يثبت إلا بالشرع، ولا مجال للعقل فيه، أما الروحاني وصفه بأنه قائم على البرهان العقلي وتصديق النبوة.

وحين ينفي ابن سينا البعث الجسماني يقول: "الأبدان لا تبعث ولا تعود، فبعد الموت تصير تراباً، والتراب يحترق ويزرع، وتكون منه الأغذية، وتغذى بالأغذية أبدان أخرى (ناهيك عن حالة أكل لحوم البشر)، فأني يمكن بعث مادة كانت حاملةً لصورتها إنسان في وقتين؟ (Ebn sina,1949,p57,58) - كما يقول ابن سينا.

لذلك فهو يعتقد أن النفوس وحدها تبقى بعد موت البدن في نعيم وشقاء روحانيين، وكلما زاد علم النفس بالوجود في أثناء حياتها الدنيوية، كانت سعادتها بعد مفارقة البدن أعظم وأسمى (Farook,1979,p422)، وحال النفس من السعادة والشقاء بعد موت الجسد يفهم - كما أشار ابن سينا - من طريقين مختلفين هما: طريق الشرع، وطريق العقل والقياس البرهاني.

ويورد ابن سينا أدلة مأخوذة من الميتافيزيقا، وذلك لنفي البعث للأبدان، منها: "إن المادة المتوفرة في هذا العالم لا تفي بأشخاص الكائنات الخالية، غير المحصورة في العد إذا بعثت، أو القول بتعذر إعادة ما صار إلى العدم، وخاصة فيما سلف من الأزمنة" (Al-gazaly,1972,p298) والإنسان برأيه "ليس إنساناً بمادته، بل بصورته الموجودة في مادته، وتكون أفعاله الإنسانية صادرة عنه لوجود صورته في مادة، فإذا بطلت صورته عن مادته وعادت مادته تراباً أو شيئاً آخر من العناصر فقط، بطل ذلك الإنسان بعينه، فإذا خلق في هذه المادة بعينه صورة إنسانية جديدة حدث عنها إنسان آخر لا ذلك الإنسان" (Ebn sina,1949,p51,52)

ويؤكد ابن سينا على وجود عدة حقائق للبعث البدني، فالحكماء الإلهيين لا يلتفتون إلى السعادة البدنية ولا يستعظمونها بجنب السعادة العقلية، فابن سينا يعلي من شأن اللذة العقلية كثيراً، مبيناً أن تلك اللذة العقلية النفسية إذا كنا لا نحس بها ولا نشعر بها تماماً، فسبب ذلك هو المادة، أي بدن الإنسان وما يتطلبه من شهوات كثيرة لا تحصى بحيث تكون النفس أسيرة البدن، ولكن الإنسان إذا كان كريم النفس غالباً ما يختار الأمور المعنوية المتصلة بالروح المجردة، تاركاً الأشياء المادية الصرفة التي تتصل بالبدن، ولو كانت هذه الأخيرة أحسن وأكمل لجسمه من الأولى، فالحياة البدنية مضادة الجوهر النفس - كما يقول ابن سينا - وعائقه عن كمالها، وهو يرى أن: "النفوس السعيدة تستشعر سعادتها بزوال البدن وقد عائق المادة، والنفوس الشقية تستشعر شقاوتها بفراق البدن والانفصال التام عنه" (Ebn sina,1917,p29)

والغريب هنا أن ابن سينا لم يكن متأثراً برأي الكندي في مسألة المعاد، لما له من أسبقية في ذلك، فالمعروف أن الكندي صاحب فكرة "الخلق من عدم" وهذه الفكرة لا نجد لها في الفلسفة اليونانية إطلاقاً، فيذكر الكندي في رسالة "في الحيلة لدفع الأحزان" (Al-kendi,1973,p11) أن النفس سائس والبدن مسوس والنفس باقية والبدن دائر، ومصلحة الباقي والعناية بتقويمه وتعديله أصلح وأفضل من أسقامها، أوجب علينا من إصلاح أجسامنا، أي أن النفس جوهر، وأنها باقية بعد انحلال البدن، وأن حشر الأجساد وصور الحساب والجنة والنار، لا يستحيل أن تكون كما في ظاهر النص، وعلل ذلك بأن الذي أوجد الأجسام من لا شيء لا يمتنع عليه جمع أجزائها بعد أن تبددت، لذلك فهو يرى أن ما تفرق من البدن باليأس أسهل في العادة من إبداعه بعد أن لم يكن، أما عند الله فليس شيء أشق وشيء أيسر، لأن الله القدرة المطلقة على الإبداع من لا شيء. (Al-eriba,2011.p186)

ولا ننسى آيات الله في كتابه المحكم إذ يقول: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (سورة يس، الآية 79)، وقوله تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) (سورة الإسراء، الآية 49، 51)، (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) (سورة القيامة، الآية 3، 4)، ويقول أيضاً: (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ) (سورة ق، الآية 4)، ويقول الشوكاني في فتح القدير، المعنى: نعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم فلا يصل عنا شيء من ذلك، ومن أحاط علمه بكل شيء حتى انتهى إلى علم ما يذهب من أجساد الموتى في القبور لا يصعب عليه البعث ولا يستبعد منه. (Ashwkany,n.d,p336)

المبحث الثاني: مسألة البعث بين الغزالي وابن رشد:

لقد كفر الغزالي الفارابي وابن سينا وذلك لإنكارهم بعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود النار الجسمانية، ووجود الجنة والحدور العين، وسائر ما وعد به الناس، وقولهم أن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق، لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين (Al-gazaly,1972,p282)

فبرأي الغزالي أن هذا ظن خاطئ ومائل عن الحق، لأن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية مع مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة، ومعنى مفارقتها انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها، فإن الأعضاء آلات الروح تستعملها حتى إنها لتبش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب هاهنا عبارة عن الروح، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة. ولذلك قد يتألم نفسه بنفسه بأنواع الحزن والغم، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء، فكل ما هو وصف للروح بنفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح على الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث (Al-gazaly,n.d,p449)

والروح عند الغزالي لا تقبل الفساد، ولا تضمحل، ولا تفتنى، ولا تموت، بل تفارق البدن وتنتظر العودة إليه في يوم القيامة كما ورد في الشرع، فالروح لا تموت بموت الجسد لأن الله تعالى يدعو إلى بابه فيقول "ارجعي إلى ربك" وإنما هو يفارق ويعرض عن البدن (Al-gazaly, 1980, p504) ويرى أن خلود النفس لا يمكن البرهنة عليه عن طريق النظر العقلي، ومن ثم يجب الاستناد في ذلك على الشواهد القرآنية والخبر الشرعي. (Al-gazaly, 1968, p211)

والغزالي هنا لا يخالف الفلاسفة في أن الروح لا تفتنى بفناء البدن، لكنه يخالفهم في قولهم بأنه من المحال أن تعود روح كل امرئ إلى بدنه الذي كان له في الحياة الأولى، لأنه يكون قد تحلل إلى عناصر مختلفة، حيث يرد الغزالي هنا على الفلاسفة بأن روح الفرد تعود إلى البدن، أي بدن كان، سواء أكان مواد بدنه الأول أو غيرها، أم مواد استأنفت خلقها، فإن الإنسان بنفسه لا بجسمه. (Al-gazaly, 1993, p211)

أما عن ابن رشد فإنه يرى أن الغزالي أخذ يزعم أن الفلاسفة ينكرون حشر الأجساد، وهذا الشيء ما وجد لواحد ممن تقدمت فيه قول (والمقصود هنا هما الفارابي وابن سينا)، والقول بحشر الأجساد أقل ما له أنه منتشر في الشرائع ألف سنة. وبذلك كان الفلاسفة في نظر ابن رشد لا يرون إنكار البعث والجزاء الجسديين، ويؤكد أن الشرائع كلها قالت بذلك، وإذا كانت الشرائع جميعها من شريعة بني إسرائيل إلى شريعة الإسلام، قالت به وجعلته من المبادئ الأولى العامة التي تقوم عليها، لما يبنني عليه من الدفع إلى طيبات الأعمال، فإن من المعروف أن الفلاسفة لا يرون التعرض بقول مثبت أو مبطل للمبادئ العامة للشرائع. (Ebn roshd, 1993, p234)

وكذلك يرى ابن رشد في هذه المسألة "أن الوجود الأخروي نشأة أعلى من هذا الوجود وطور آخر أفضل من هذا الطور، وليس ينبغي أن ينكر ذلك من يعتقد أن ندرك الموجود الواحد ينتقل من طور إلى طور مثل انتقال الصورة الجمادية إلى أن تصير مدركة بذاتها وهي الصورة العقلية، والذين شكوا في هذه الأشياء وتعرضوا لذلك وأفصحوا به إنما هم الذين يقصدون إبطال الشرائع وإبطال الفضائل، وهم الزنادقة الذين يرون أن لا غاية للإنسان إلا التمتع بالذات. (Ebn roshd, 1993, p871)

وإلى جانب ذلك يرى ابن رشد أن ما رد به الغزالي على منكري البعث صحيح، لكن تكفيرهم فيه جور عليهم لأنهم لم ينكروا البعث إطلاقاً، وإنما اعترفوا به كما ورد في الشرع، حيث إنه يوجد ظاهر وباطن لآيات القرآن، فقد اكتفى عامة الناس بقبول الظاهر الذي يؤكد بعث الأجساد وثوابها بالذات الحسية في الجنة أو عقابها بالآلام الجسدية في النار، أما الخاصة – الفلاسفة – فقد أولوا هذه الآيات وأخذوا باطنها في ضوء العقل، وقرروا أن تلك التشبيهات الحسية يقصد بها في الحقيقة الثواب والعقاب معنوياً وروحياً. (mohamed, 1971, p188)

ويقول ابن رشد أن الفلاسفة لم يتكلموا في المعاد "الحشر" غير أن الشرائع تكلمت في الحشر، فجعلت بعضه روحاني والبعض الآخر روحاني جسماني معاً (Ebn roshd, 1978, p134) وسكت الفلاسفة عن رأي الشرائع في المعاد فيما بينهم، ثم شارك كل واحد منهم قومه في قولهم بالمعاد، ولم يكتف الفلاسفة بإظهار القول بالمعاد، بل تصدوا لكل من تعرض له بالبحث نفياً وإثباتاً. (Farook, 1979, p671)

ثم يؤكد ابن رشد بعد ذلك أن الحشر سيكون بالأجساد والأرواح، لكن الأجساد التي سوف تبعث بها في الآخرة يوم الحشر ليست هي نفس أجسادنا المعدومة الفانية، لأن المعدم لا يعود بنفسه بالشخص، وإنما الذي يعود إلينا أجساد أخرى غيرها وفي نفس الوقت تكون مثيلتها تماماً. (Gomaa, 1999, p218)

وفي رأبي أن اجتهد ابن رشد في هذه المسألة فيه مجانية وابتعاد عن ظاهر النص القرآني، ويبدو أنه كان متأثراً بالفارابي وابن سينا في ذلك، وذلك بإنكاره بعث الأجساد بعينها، وأن البعث يكون بأجساد أخرى غير هذه الأجساد، ألا يعتقد بأن الله قادر على إحياء العظام نفسها والأجساد كذلك.

المبحث الثالث: رأي العلم والدين الإسلامي في مسألة البعث:

أولاً: رأي العلم في مسألة المعاد والبعث:

هل توجد حياة بعد الموت:

في الفيزياء خصوصاً والعلوم التطبيقية يوجد أربعة قوانين أساسية يقوم عليها علم الفيزياء بأكمله بشتى فروعه وأقسامه المتنوعة، وكذلك مختلف العلوم التطبيقية الأخرى، هذه القوانين تسمى بقوانين الديناميكا الحرارية. القانون الثاني منها ينص على أن أي نظام فيزيائي مغلق ومعزول حرارياً، ينتقل دائماً وأبداً بشكل طبيعي من حالة الانتظام إلى حالة الفوضى إلى أن تبلغ الفوضى فيه حالتها القصوى، عملية الانتقال أو التحول يتم التعبير عنها بمصطلح علمي يدعى بالأنثروبي. (كان العالم النمساوي "لوديفغ بولتزمان" أول من وضع تعريف واضح لمفهوم الأنثروبي لتوصيف الحياة بشكل علمي).

إذاً يمكننا أن نفهم الأنثروبي Entropy ببساطة على أنها مقياس لفوضى نظام فيزيائي معين، أو ميلان الأشياء إلى الانتقال من حالة النظام إلى حالة الفوضى، إذ إن الفوضى تزداد باستمرار أو تبقى ثابتة، لكنها لا يمكن أن تقل في النظام المغلق. السيارة مثلاً عبارة عن نظام فيزيائي، قبل أن تشعل السيارة كانت في حالة انتظام شديد، ولو أتيننا بورقة وقلم وأردنا توصيف جميع الذرات التي تتكون منها لبدأ الأمر بالنسبة لنا من الناحية النظرية مهمة سهلة، بمعنى آخر كانت أنثروبيا السيارة في أخفض قيمة لها، ومع اللحظات الأولى من إشعالها بدأت الأنثروبي الخاصة بها أو الفوضى تزداد "رماد متناثر ودخان متطاير..." أي بدأت تنتقل من حالة الانتظام إلى حالة أكثر فوضى، وبتنا مع هذه الفوضى بحاجة إلى

معلومات أكثر من أجل توصيفها وتوصيف جميع التفاعلات الحاصلة وحيثياتها، تمر الثواني والفوضى تزداد أكثر فالتبغ يتحول إلى مزيد من الرماد والدخان يتطاير متلاشياً في الأرجاء، حتى ننتهي عملياً من التدخين فتصبح السجارة في حالة قصوى من الفوضى، أي في أقصى أنتروبي ممكنة لها، فقد تلاشى الدخان وتطاير الرماد بشكل كامل، ولا يمكن بشكل طبيعي وتلقائي عكس تلك العملية والعودة من الفوضى إلى الانتظام.

حين يطبق بعض الملحدون ذلك القانون على الجسد الميت فإنهم يجدون أن من الغرابة الشديدة أن تتجمع الذرات الموجودة في التراب مرة أخرى بشكل منظم لتعيد تكوين الجسد الذي مات، وخطأ الملحدون هنا أنهم يفكرون وكأن الأشياء توجد وحدها بلا إله، ولو أدخل هؤلاء العقل الإلهي المدير في الحساب لسهل عليهم تصديق البعث لأن هناك موجوداً سيتولى مهمة الترتيب والتنسيق وتحويل الفوضى إلى نظام يعيد الجسد كما كان.

ومن أعجب ما يمكن أن يقرأ المرء النص التالي للملحد الشهير فيكتور جي. ستينجر الذي يقول فيه إن قوانين الفيزياء لا تحول دون إحياء الميت، وهذا اعتراف صريح غير مقصود منه إذ يقول: (لا شيء في الفيزياء الأساسية يحول دون انتهاك القانون الثاني للديناميكا الحرارية، لا يوجد مبدأ ميكانيكي يمنع تفريغ الهواء من حجرة حين تفتح الباب، فيموت كل شخص في الداخل، الفيزياء لا تمنع الإنسان من أن ينمو لسن أصغر، ولا تمنع الميت من أن يقوم حياً، كل ما يجب أن يحدث من أجل هذه الأحداث المعجزة هو أن تتحرك الجزيئات بالمصادفة في الاتجاه الصحيح واللحظة الصحيحة، طبعاً هذه المعجزات لا يلاحظ حدوثها إلا في الخيال، لكن فقط لأنها بعيدة الاحتمال بشكل كبير جداً، إننا ندخل القانون الثاني لتقنين كل ما نشهد به تجربتنا البشرية من أن الهواء لا يفرغ من الغرفة، وأن الناس لا تنمو لسن أصغر، وأن الموتى لا يقومون، بيد أن هذه الأحداث ليست مستحيلة، هي فقط بعيدة الاحتمال بدرجة كبيرة) (Design,1997)

الكون عندما بدأ بالانفجار العظيم قبل 13.8 مليار سنة بدأ بحالة من الانتظام الشديد، وبأخفض أنتروبي ممكنة له من خلال نقطة صغيرة جداً، تسمى متفردة وهي لا نهائية الكثافة والحرارة، وخلال اللحظات الأولى من عمره تضخم بشكل سريع جداً وتحت وطأة القوة النووية القوية والضعيفة تشكلت الجسيمات الأولية الأساسية، ومن ثم تحت تأثير القوة الكهرومغناطيسية تجمعت البروتونات مع الإلكترونات معاً بعد 380 ألف سنة مكونة ذرات الهيدروجين والهيليوم الأولى، ومن ثم تحت وطأة قوة الجاذبية شكلت تلك الذرات سحب الغبار التي سمحت بدورها بتشكيل النجوم الأولى، فالمجرات الأولى، فالعناقيد المجرية، وهكذا وصولاً إلى اليوم، ولا تزال الملحمة الكونية مستمرة، ولا تزال الانتروبي الخاصة بتلك الملحمة تزداد باستمرارها.

إذاً الكون نظام فيزيائي بدأ بالانتظام، وهو ينتقل دائماً وأبداً نحو المزيد والمزيد من الفوضى، بدأ بأخفض أنتروبي كونية ممكنة وهذه الانتروبي تزداد بشكل طبيعي وتلقائي.

الفكرة الجوهرية هنا أنه خلال عملية انتقال الكون من الانتظام إلى الفوضى يوجد بعض البنى الفيزيائية التي تملك ترتيب ذري معين تستطيع ولأسباب مازلتنا نجهلها بعد أن تقاوم هذا التحول القسري من الانتظام إلى الفوضى لبعض الوقت، من خلال استقدام الطاقة من البيئة الخارجية المحيطة واستقلابها، بمعنى آخر بمقدورها أن تحافظ لفترة معينة على انتظامها الداخلي وعلى نسبة أنتروبي منخفضة بداخلها، على عكس السجارة المشتعلة، متحدياً بهذا الصيرورة الكونية الحتمية التي يعبر عنها القانون الثاني، وذلك من خلال استقلاب الطاقة وبالتالي زيادة الانتروبي في البيئة الخارجية المحيطة أو النظام الخارجي ككل، هذه البنى الفيزيائية هي ما نسميه بالحياة.

إذاً الحياة نظام فيزيائي يمتلك القدرة على الحفاظ على أنتروبي داخلية منخفضة من خلال مقاومة الفوضى الكونية، ويستطيع أن يستمر في مقاومتها لمدة محددة من الزمن، عبر قدرته الذاتية على استقلاب الطاقة من خلال عمليات بيولوجية معقدة، وكذلك عبر قدرته على نسخ نفسه، إلى أن يحدث خلل ما يقوده للعجز عن الاستمرار في تلك المقاومة فيحدث حينها ما يسمى بالموت فيتحلل الجسم وتعاود الانتروبي فيه مسيرتها الحتمية.

فالفوضى هي القاعدة الكونية الأساسية، الحياة هي الاستثناء المؤقت لتلك القاعدة، الموت هو العودة لتلك القاعدة ثانيةً. نحن أنظمة فيزيائية حية تعيش على طاقة الشمس بشكل أساسي، النباتات تقوم باستقلاب تلك الطاقة فتحولها إلى ثمار ناضجة، فتأتي الحيوانات النباتية فتتغذى على تلك الثمار، ثم تأتي الحيوانات اللحمية فتتغذى على الحيوانات النباتية، أما الإنسان فيتغذى على الجميع دفعة واحدة، وبعد أن يملأ بطنه بالمكونات الغذائية الغنية بالطاقة التي يعود الفضل بوجودها لنجم الشمس يقول سبحانه من سخر لنا وما كنا له مقرنين دون أن يبدي أي اكتراث نهائياً لا بمفهوم الطاقة ولا النجوم ولا الانتروبي ولا الانفجار العظيم.

هل ممكن للحياة أن توجد بعد الموت:

الجواب المعتمد على معارفنا الحالية "لا" الحالة الوحيدة التي يمكن للحياة فيها أن تكون ممكنة نظرياً بعد الموت هي حدوث خرق فاضح للقانون الثاني في الديناميكية الحرارية، بمعنى آخر الانتقال من الفوضى إلى الانتظام بعكس المسيرة الكونية الطبيعية، الأمر الذي إن حصل فإنه سيعني وبالضرورة أننا أمام معالم فيزياء جديدة ومختلفة كلياً عن كل المحتوى الذي بين أيدينا بكل ما للكلمة من معنى، في الواقع لم يحدث منذ وجودنا وحتى اليوم أن رصدنا شيئاً في الطبيعة ينتهك هذا القانون، وعلوونا بأسرها وتطبيقاتنا كلها تقوم عليه، وهناك إجماع علمي مدعوم بعدد وفير جداً من التجارب والأدلة يؤكد على عدم إمكانية خرق هذا القانون بشكل طبيعي.

ثانياً: رأي الدين الإسلامي في مسألة المعاد:

لقد تناول القرآن الكريم قضية البعث تناولاً شاملاً، خاطب فيه الناس جميعاً بالحجة والبرهان، وعلى هذا الأساس سار علماء المسلمين عند تعرضهم لقضية المعاد والرد على من أنكروه، لذلك

جاء رد القرآن بسيطاً ومفهماً: إن من صنع شيئاً قادر على إعادة صنعه مرة أخرى، بل إن الخلق الثاني- حتى بمنطق البشر – أيسر من الخلق الأول، لأن الخبرة في المرة الثانية تكون أكبر، قال تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا جِبَارَةً أَوْ حِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) (سورة الإسراء، الآية 51، 59)، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) (سورة الروم، الآية 27).

إن حجة القرآن مقنعة للغاية، ولا يمكن ردها، يكفي فقط أن تؤمن بوجود إله خلق الإنسان، ولن تجد أي صعوبة بعد ذلك في الاعتقاد بأن الله قد قام بنفس العمل مرة أخرى، فأعاد خلق الإنسان بعد وفاته. (Almakawy,2021,p53)

إن من الحسابات الخاطئة للإنسان كما يوضحها القرآن الكريم حسابه بعدم بعثه بعد الموت وقد رد الله عليهم بقوله تعالى: (أَوَلَيْ لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُوءَ أَلَمِ يَكُ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِي يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) (سورة القيامة، الآية 34، 40)، وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (سورة يس، الآية 77، 83)، وقال تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا جِبَارَةً أَوْ حِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) (سورة الإسراء، الآية 49، 52)، وقال تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) (سورة طه، الآية 15، 16)، فقيام الساعة هو وفاء وعدل ورحمة لتجزي كل نفس بما تسعى.

قد يقال أن مادة الجسد بعد الموت قد تتفرق في الأرض، فيمتصها النبات، ثم يتغذى على هذا النبات إنسان، فتدخل في جسده، فيكون لدينا رجلان يشتركان في نفس مادة الجسد، فكيف سيبعث الله الاثنين يوم القيامة؟ إن الذرات المشتركة بينهما إن ذهبت لأحدهما فستغيب عن الآخر، وسيكون لدينا حتماً جسد كامل، وجسد ناقص.

ليس من المهم تغيير مادة الجسد طالما أن النفس باقية وثابتة، وفي ذلك يقول محمد مكاوي: (نؤكد أن هذا الاعتراض لا يعتد به، لأن الله تعالى ليس في حاجة لخلق نفس ذرات جسد كل إنسان، فدور الجسد هو أن يكون أداة تثاب بها النفس أو تعاقب، فلن تنعم النفس في الجنة فلا بد لها من جسد يأكل ويشرب ويلعب، ولكي نعذب النفس في النار فلا بد لها من جسد يحترق ويشرب الحميم ويأكل الشوك، وهنا لا يهم من أين أتت المادة المكونة للجسم، فيكفي وجود أي مادة لتكوين خلايا وأنسجة وأعضاء كي تتأثر بالنعيم أو الجحيم بحيث ينتقل هذا التأثير في النهاية للمخ، فتشعر النفس باللذة أو الألم)، (Almakawy,2021,p61) ومن المهم في ذلك أن يكون الجسد الأول والثاني يحملان نفس الخصائص، والاختلاف في الالكترونات هي اختلاف في المواضع والسرعات والدوران أما مادة الالكترونات فواحدة، ثم إن الله سبحانه وتعالى يعمل بمنطق "كن فيكون" لأن الله تعالى فوق القوانين، وهو الذي خلقها، ورسمها، ويمكنه إيقافها أو تعديلها.

إن جسدك مكون من نفس وروح، والجسد من صنع الله، وكذلك الروح، فما الغريب في خلق جسد جديد بعد فناء الأول لتعود إليه الروح بعد خروجها، ربما يكفي ذلك قوة الإيمان التي يفتقر إليها هؤلاء المجادلون.

وفي إنكار البعث الجسماني تكذيب لجملة من أحوال يوم القيامة، كالبعث والنشر، والحساب، والصراف، والميزان، والحوض، وكل ما أخبر الله تعالى عنه مما يكون في يوم القيامة.

كما أود الإشارة إلى أن مسألة المعاد تقترب كثيراً من مسلسل الانفجار العظيم والانسحاق العظيم، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم منذ ما يقرب من 1500 عام، في حين بدأ العلم مؤخراً يعرف عنها بعض الأشياء، غير أن الفاصل فيها هو يوم القيامة الذي سينتهي فيه العالم أو الكون بمعنى أن الكون مثلما كان له بداية فإن له نهاية محتومة ومؤكد مثلما جاء في آيات القرآن الكريم، فخلق الكون وانفجاره وتوسعه وتوقف التوسع وانتهائه وعودته كما كان وبداية كون جديد للأخرة ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في خمس آيات (al-anbeya30,adaryat47, 48,fuselt11,al-) (anbeya104.ebrahim48) وهو ما نربطه هنا بالمعاد، حيث أن الأجساد سوف تعود إلى ما كانت عليه في السابق، والقادر على إعادة الأكوام وتجدها قادر على إعادة خلق الأبدان البالية كما كانت (Al-eriba,2022,p19,20,21)

نتائج البحث:

1. إن الإلحاد يوهن أن البعث يتناقض مع القانون الثاني للديناميكا الحرارية، صحيح أن البعث يتناقض مع هذا القانون لكن في حالة إن تركت عناصر الجسد المتحلل وشأنها، وذلك أن العناصر المبعثرة المتشتتة لا يمكن أن تنظم نفسها بنفسها، لكن وجود الإله يغير الصورة تماماً لأنه يضطلع بمهمة صنع النظام.

2. علماء الفيزياء يرون أن التحول من حالة فوضى إلى حالة نظام أمر بعيد جداً، لكنه على أي حال غير مستحيل، فالقوانين العلمية لا تحول دون انقلاب الفوضى إلى نظام.

3. ليس مستحيلاً من وجهة نظر العلم أن تنقلب الأحداث فيتحول التراب والعظام على سبيل المثال إلى جسد حي، يتنفس ويتحرك، وبعد الاحتمال سببه أن الأشياء إن تركت لنفسها فإن من النادر أن تتغير تلقائياً إلى حالة أكثر نظاماً، لكن إن تدخلت إرادة ما لتحديث التغيير فسينشأ النظام من الفوضى.

4. في هذا البحث دعوة ملحة إلى الملحدّين وأصحاب الأديان الأخرى إلى إعادة النظر والتوجه إلى دراسة الدين الإسلامي دراسة علمية متفحصة، وذلك للفهم والتأمل في مصير الأبدان بعد الموت.

توصيات البحث:

1. من أهم توصيات البحث هو الإكثار من هذا النوع من البحوث العلمية، لأنها مهمة في الرد على الملحدّين والمجادلين والمنكرين للمعاد والبعث ولغيره من قضايا جاء بها الدين الإسلامي بشكل عام، ثم أن هذا النوع من البحوث يعتبر من البحوث الدعوية التي تقوم بالدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف.
2. تشجيع الباحثين من الجهات المعنية بذلك للرقى في بحوثهم التي تمثل الدعوة الإسلامية، وذلك بتطويرها والتعمق فيها وربطها بالعلم الحديث وتطوراتها.

References

- Al-Quran
- Al-Āmidī, S. (1292 AH). Sharḥ al-mawāqif (Vol. 1). Al-Maṭba‘ah al-Amīriyyah.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad. (1968). Ma‘ārij al-quḍs fī ma‘rifat al-naḥs (Muṣṭafā Abū al-‘Ulā, Ed.). Maktabat al-Khānjī.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad. (1972). Tahāfut al-falāsifah (Sulaymān Dunyā, Ed.; 7th ed.). Dār al-Ma‘ārif.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad. (1980). Al-kusūr al-awwalī (In Al-risālah al-dunyāniyyah; Muḥammad Muṣṭafā Abū al-‘Ulā, Ed.; 2nd ed.). Maktabat al-Jundī.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad. (1993). Tahāfut al-falāsifah (Jirār Jahāmī, Ed.). Dār al-Fikr al-Lubnānī.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad. (n.d.). Iḥyā’ ‘ulūm al-dīn (Vol. 4). Maktabat Usāmāh al-Islāmiyyah.
- Al-Kindī, Abū Ishāq Ya‘qūb. (1973). Risālah fī al-ḥilāh li-daf‘ al-aḥzān (‘Abd al-Raḥmān, Ed.).
- Al-Makāwī, Muḥammad Sa‘īd. (2021). Limādhā āmant bi-al-dhākīrah. Manṣṣat Amazon lil-Kutub al-Raqmiyyah.
- Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. (n.d.). Faṭḥ al-qadīr: Al-jāmi‘ bayna fannay al-riwāyah wa-al-dirāyah min ‘ilm al-tafsīr (Vol. 5). Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
- Al-‘Arībāh, Sham. (2022). Mawqif al-‘ilm wa-‘adan min takawwun al-akwān fī fikrat al-‘awd al-abadī li-Nīṭshah. Al-Majallah al-Lībiyyah al-‘Ilmiyyah, 62.
- Al-‘Arībāh, Sihām. (2011). Manhaj al-Kindī fī al-tawfīq bayna ‘ilm al-kalām wa-al-falsafah [Master’s thesis]. Tripoli University, Dār al-Riyāḍ.
- Badawī, ‘Abd al-Raḥmān. (n.d.). Ḍimn rasā’il falsafiyyah. Manshūrāt al-Jāmi‘ah al-Lībiyyah.
- Farūq, ‘Umar. (1979). Tārīkh al-fikr al-‘Arabī ilā ayyām Ibn Khaldūn. Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn.
- Gum‘ah, Muḥammad Luṭfī. (1999). Tārīkh falāsifat al-Islām. ‘Ālam al-Kutub.
- Ibn Sīnā, Abū ‘Alī al-Ḥusayn. (1375 AH). Al-shifā’ (Vol. 2; Āyat Allāh Ḥasan Zādah al-Āmulī, Ed.). Maṭba‘at al-I‘lām al-Islāmī.
- Ibn Sīnā, Abū ‘Alī al-Ḥusayn. (1917). Sharḥ al-maqūlah al-ūlā. In Jāmi‘ al-badā’i’ (Muḥyī al-Dīn al-Kurdī, Ed.; 1st ed.). Cairo, Egypt.
- Ibn Sīnā, Abū ‘Alī al-Ḥusayn. (1949). Risālah al-aḥwāiyyah fī amr al-ma‘ād (Sulaymān Dunyā, Ed.; 1st ed.). Dār al-Fikr al-‘Arabī.
- Ibn Sīnā, Abū ‘Alī al-Ḥusayn. (1952). Risālah fī aḥwāl al-naḥs al-nāṭiqah wa-baqā’ihā wa-ma‘ādiḥā (Aḥmad Fu‘ād al-Ahwānī, Ed.; 1st ed.). Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyyah.

Intelligent design: Humans, cockroaches, and the laws of a paper submitted to
Creation/Evolution. (1997).

Khalīf, Faṭḥ Allāh. (n.d.). Falsafat al-Islām. Dār al-Jāmi‘ah al-Miṣriyyah.

Rafā‘, Muḥammad Samāḥ. (1971). Tārīkh al-fīkr al-falsafī fī al-‘uṣūr al-qadīmah. Mu’assasat
al-Furqānī, Tripoli, Libya.

Ṣaḥāḥ al-Arḍ, Tayseer. (1967). Al-madkhal ilā falsafat Ibn Sīnā. Dār al-Anwār, Beirut,
Lebanon.